

الفصل العاشر

وفي النهار التالي جاءت سارة إلى غرفة دانيال.. ونظرت من النافذة؛ فوجدته وحيداً.. وكان نائماً على الأريكة.. طرقت الباب وقالت:

_ دانيال! هل أدخل؟

انتبه دانيال من نومه على صوتها.. ثم قال وأخذ يمسح بيده على وجهه:

_ نعم نعم.. ادخلي.. تعالي.. كيف الحال؟

كل ذلك وهو مبتسماً لها ويحاول تجميع صورتها.. فلوحت له ضاحكة؛ فضحك إليها دانيال وقال وكله حنان:

_ كيف هي حالك؟

قالت مبتسمة وهي تنظر في عينه:

_ بخير.. كيف هي حالك أنت.. _ وبعد هنيهة _ اليوم هو يوم خروجك!

قال ضاحكاً:

_ نعم يا مليكة.. فقد مكثت شهوراً هنا.

فأخذنا يضحكان.. ثم استأذنها في دخوله الرحاض يتتبعش.. دخل المرحاض وأخذ يغسل وجهه.. وهو على الحوض قالت سارة له:

_ أوتعلم.. وما إن بدأت تتكلم والماء على وجهه يتقطر؛ إلا وتذكر كل ما حدث في الأيام القليلة الماضية.. فأخذه التفكير بعيداً.. ثم مشت سارة نحوه وكان باب المرحاض مفتوحاً.. ووقفت أمامه؛ فقال لها:

_ معذرة.. ماذا كنت تقولين؟ _ ثم ابستم إليها _

قالت سارة:

_ المحترم إسحق قابلته عند المدخل.. وقال أنه ذاهب إلى مكتبه.

استمع إليها دانيال بإنصات هذه المرة وقد فتح عيناه باتساع.. وكأنه استوعب ما قالت بعينيه؛ فهو لا يريد أن يشعرها أنه غاب هذه المرة أيضاً.. ثم قال:

_ جميل.. جميل.. ولربما ذهبنا إليه اليوم.

ثم انتبه إلى الماء المتدفق من الصنبور وأخذ يكمل غسيله.. ومشت هي ناحية النافذة ونظرت إلى الحديقة وقالت:

_ الحديقة جميلة.. تبدو جميلة من هنا.

قال وقد أقبل عليها والمنشفة في يديه:

_ عليك أن تشاهدها في الليل.. وكأنها قطعة من الجنة... _ ثم نظر أمامه يفكر _ ما رأيك أن آخذك ونذهب إليها هذه الليلة؟

قالت سارة ولم تُمانع:

_ لا مانع عندي.. ولكن علينا أولاً أن ننهي أمر خروجك من المشفى.. هيا! فضحك إليها
دانيال وحبها يتملك كل قلبه.

وفي المساء أخذها دانيال إلى تلك الحديقة وجلسا على الأريكة التي جلس عليها في الأمس،
قال دانيال:

_ أترين كم المنظر جميل!

قالت سارة:

_ نعم.. الحديقة جميلة كما وصفت.. ونظرت إليه _

فقال دانيال:

_ كنا نجلس البارحة أنا وإلياس والمحترم إسحاق.. وقد قال شيئاً جميلاً.. قال شيئاً جميلاً
فازداد هذا الجمال جمالاً.

قالت سارة:

_ أحقاً.. وماذا قال؟

قال دانيال:

_ قال لي وكنا ننظر إلى هذا المشهد الذي أمامنا الآن: ألا يجعلك هذا المنظر ترى كم أن الله طيب!

فالله هو من جعل كل هذا.. وكل هذا بما يحتوي من سمات وطبائع هو من خلق الله.
كلما تكلم دانيال تشعر سارة بأنه قد ازداد منها قريباً.. يعم الصمت قليلاً حتى يقول دانيال؛
فأخذت سارة تنظر إليه:

_ قديماً كان هناك أحد الرجال الصالحين.. وقد مرّ هذا الرجل على قرية ليس فيها أحد..
خاوية لا أحد فيها.. فأخذ يتأمل ثم سأل: كيف لهذه القرية وأهلها موتى كلهم؛ أن يُحييهم
الله؟

وهذا الرجل الصالح تعجب كيف لله أن يُحييهم.. فلم يدري إلا والله يسأله بعد نومه:
_ كم لبثت نائماً؟ فقال الرجل الصالح لله: نمت يوماً أو أكثر من يوم.. _ لا يدري _ فقال الله
له: إنك لبثت مائة عام!

ثم أراه الله من قدرته سبحانه شئيين متناقضين.. أراه كيف أن أكله وشربه لم يزالا كما هما منذ
المائة عام.. ولكن دابته التي كان يركبها قد صارت هيكلًا عظيماً.. ثم أراه الله كيف أنه
سوف يُحيي هذه الدابة مرة أخرى ويكسو عظامها لحماً أمام عينيه.. ثم عرف هذا الرجل
الصالح كيف أن الله على كل شيء قدير.. وصار هذا الرجل آية للناس على قدرة الله في إحياء
الموتى وأنه على كل شيء قدير.

قالت سارة مستغربة:

_ وهل بقي طعامه وشرابه كما هما بعد مائة عام بالمقارنة مع دابته التي تحولت إلى عظام؟

نظر إليها دانيال وقال:

_ نعم! وهذا لتعلمي _ ثم تبسم لها _ أن الله قادر على كل شيء..

ثم نظر أمامه وقد ذهب تبسمه وقال:

_ وأنه هو ربُّ كل شيء.. وهو ربِّي وربُّك.. _ ثم سكت ونظر إليها _ وهو ربُّ ما بيني وبينك من المشاعر والحب.

يقشعر جسد سارة.. ويعمّ الصمت.. ولا أدري أكان صمتاً طويلاً أما ماذا! ثم قال دانيال:

_ هل ترضين بي زوجاً لك؟ _ ثم أخذ ينظر إليها وقلبه ينقبض مما يجده تجاهها.. وأما سارة؛ فصارت متفاجئة وأخذت تنظر أمامها بخجل ولم تُجِب.

فقال لها دانيال في تبسمٍ:

_ هل أعتبر سكوتك هذا أنك موافقة؟

فضحكت ولم تُجِب أيضاً.. فقال لها:

_ سأسهل عليك الأمر.. ما رأيك أن أريك خاتم الخطوبة!

ثبتت سارة نظرها أمامها.. ثم حاولت أن تتعد به إلى أعلى في تبسم.. ثم مالت برأسها ناحية دانيال وأخذت تنظر إليه من خلف كتفها؛ فضحك لها.

لاحظ دانيال أن الخاتم ليس معه وقد وضع يده في جيبه ليُخرجه.. ثم قال:

_ يبدو أن الخاتم.. لا أدري.. ليس معي.. لا أعرف أين نسيتَه!

فقال سارة مسرعة مخففة عنه وقد التفتت ناحيته:

_ لا عليك! لا يهم ذلك.. سوف تجده.. لربما نسيتته في البيت أو عند إلياس.

حاول دانيال أن يتذكر ولكن من دون فائدة.. فقال لها غير مبال:

_ لا يهم.. إن كنا سنجده فلن يذهب بعيداً.

قالت سارة حزينة:

_ لربما كان في البيت أو عند إلياس.

فقال لها على تركيز محاولاً التذكر:

_ لا! ليس في البيت.. وليس عند إلياس أيضاً.. تعاليّ معي!

قالت:

_ إلى أين؟

فأجابها قائلاً:

_ تعاليّ فقط!

وصلا إلى محل مجوهرات؛ فقالت ومازالا في السيارة:

_ لماذا أتينا إلى محل مجوهرات؟

نظر إليها على ضاحكاً.. ثم أتى من ناحيتها لينزلها؛ فقالت:
_ أنت لم تعرف بعد ما مصير الخاتم الآخر!

قال دانيال:

_ لا يهم!

وأخذها ودخلا محل المجوهرات.

* * *